

أشكر للأستاذ هذه السثة التي يتبعها في تشجيع سفار الأدباء ، والأخذ بأيديهم ، لأن التشجيع مذ كان أصل التقدم ، وسبب النجاح ؛ وقد قرأت مرّة أن مجلة إنكليزية كبيرة سألت الأدباء عن الأمر الذي يتوقف عليه نمو العلوم وازدهار الآداب ، وجعلت لن يحسن الجواب جائزة قيمة ، فكانت الجائزة لكاتبه مشهورة قالت : إنه التشجيع ! قالت : أنها في تلك السن ، بعد تلك الشهرة والمكانة ، تدفعها كلمة التشجيع حتى تعضى إلى الامام وتقدم بها كلمة التثبيط عن السير

وإن من أظهر الأسباب في ركود الأدب في الشام في القرن الماضي ، وانقطاع سبيل التأليف ، هو فقدان التشجيع ، وذلك « الاحتكار العلمي » الذي قتل كثيراً من النفوس المستعدة للعلم ، وخنق كثيراً من المبقيات التهيئة للظهور ، فقد كان العلم في الشام مقصوراً يومئذ على بيوت معروفة ، لا يتعداها ولا يجوز أن يتعداها ، هي : بيت العطار ، والحزاري ، والنزى ، والطنطاوى ، والشطى ، والخاني ، والكزبرى ، والاسطوانى ، والحلبى . . . وكانت كلها متجمعة حول المدرسة البادرانية ؛ في القميرية والعبارة ، وزقاق النقيب ، حيث يسكن الأمير العالم المجاهد عبدالقادر الجزائري رحمة الله عليه وعليهم ؛ وكان هذه البيوت كل معاني الامتياز و « الاحتكار العلمي » ، فإذا سمع أن شاباً اشتغل بالعلم من غير هذه البيوت ، وقدر وافية النبوغ ، وخافوا أن يزاحمهم على وظائفهم الموروثة ، بذلوا الجهد في صرفه عن العلم ، والعدول به إلى التجارة ؛ أوليست الوظائف العلمية وفقاً على هذه البيوت ؟ أوليس للولد ولاية الممد في وظيفة أبيه ، تنحدر إليه الأمانة أو الخطابة أو التدريس عاكاً كان أو جاهلاً ، فكيف إذن يزاحمهم عليها أبناء التجار ، وهم لا يزاحمون أبناء التجار على « حوانيتهم » ؟ أو لا يكفي أبناء التجار هذا القسط الضئيل من النحو والصرف والفقه والمنطق الذي يمن به عليهم هؤلاء العلماء ؟ . . .

حتى إنه لما نشأ محمد أمين (ابن عابدين) وأنسوا منه الميل إلى العلم ، وعرفوا فيه الذكاء التوقد ، والمقل الراجح ، خافوا منه فذهبوا يقننونه أباه — وكان أبوه امرأً تاجراً — ليسلك به سبيل التجارة ، ويتكسب به طريق العلم ، وجعلوا يكلمونه ،

التشجيع

للأستاذ علي الطنطاوى

سيدى صاحب الرسالة ، أنت
لا تحب التنا ، ولكن القراء يحبون الحقيقة ،
فأرجو أن تنشر لهم هذا الفصل « على »

قرأت ما كتب عني وعن كتابي « أبو بكر الصديق »
أستاذنا أديب العربية الأستاذ الزيات ، فقرأت فيه صفحة من
كرم السجاي ، ونبل الأخلاق ، والتشجيع الذي يتفضل به
الكبير على الصغير ، فيسدده به خطواته ، ويأخذ بيده ، ويصب
من قوته في أعصابه ، حتى يقوى ويشدد ويتقدم ، فأحبت أن
أعلق على هذا التقريظ بكلمة في التشجيع وماله من الأثر في
العلوم والآداب ، وأن أفي للحق والواجب ، بأن أسجل للأستاذ
والرسالة . . . ماله علينا من منة ، وما للرسالة علينا من يد ؛ وأنا
وأصحابي هنا مدينون للرسالة ، بما نجد من قوة ، وما نحس من
نشاط ، ما كنا لولا « الرسالة » نحس منه شيئاً ؛ وما رأينا قبل
الرسالة مجلة أدبية راقية ، فتحت أبوابها لأدباء العربية جميعاً ، لا تفرق
بين أبناء قطر وقطر ، وبلد وبلد ، ولا تزن الأدباء بالشهرة الواسعة ،
ولكن بالانتاج القيم ، فكانت بذلك الرسالة ديوان العرب
المشترك ، وسجل الأدب الحديث ، وجعلت من قراءتها - وقراؤها
كل الناطقين باللسان - أسرة واحدة ، تجمعها وحدة المبدأ ،
ووحدة النية . وهل أجل في إثبات هذه الوحدة ، من رجل
يكتب مقالة عن الأوزاعي من فلسطين ، فيمقب عليه آخر من
الشام ، ويجيبه ثالث من مصر ، ويطلق عليها رابع من سنغافورة
ثم يكتب في الموضوع خامس من دمشق ؟ . . . كأن الرسالة
قد محت بسحرها ما بين سنغافورة والشام من سحارى وبحار ،
وجبال وأنهار فندبت هذه من تلك ، كالقعد من القعد في الصف
الواحد ، يخرج رأى من هنا ، ورأى من هنا ، ويسمع الأستاذ
وهو على منبره الرأيين يقول القول الفصل ، وينطق بالكلمة الحاسمة
وما الأستاذ إلا الزيات وما المنبر إلا الرسالة !

هو أيضاً ، فكانت ترجمة اسم المؤلف أو الكاتب اسم الترجان أو « السارق » ؛ وكان الكتاب أو الفصل المترجم من وضع أديبنا البارح . . .

كنت أنظم أبياتاً من الشعر أو أسرفها ، كما ينظم كل مبتدئ ويسرق ، حتى إذا اجتمع عندي كثير من القطع ، عرضته على أستاذ العربية ، وكان لسوء الحظ تركياً يسمى اسماعيل حتى أفندى ، يملنا النحو العربي باللسان التركي ؛ فلما قرأه سخر مني وسبني وهكم على ، وجاء من بعد أخي أنور المطار - فنظم كما كنت أنظم حتى إذا اجتمع عنده كثير من القطع ، عرضه على الأستاذ كرد على رئيس المجمع العلمي العربي ، فأقام له حفلة تكريمية ا

فكانت النتيجة أني هجرت عن الشعر ، حتى لنقل البحر بغير أهون على من نظم خمسة أبيات ، وأن أخي أنور المطار غدا شاعر الشباب السوري ، سيفدو شاعر شباب العرب ا

وأول من سن سنة التشجيع في بلدنا هو العلامة الرحوم مربي الجيل الشيخ طاهر الجزائري ، الفيلسوف المؤرخ الجليل ، الذي من آفاده المدارس الابتدائية النظامية في الشام ، والمكتبة الظاهرية ، والأستاذ محمد كرد على بك ، وخالي الأستاذ عمب الدين الخطيب ومما كتب في ذم التشبيط :

« . . . وقد هجيت من أولئك الذين يسمون في تشبيط المهمل ، في هذا الوقت الذي يتنبه فيه الناقل . . . »

وكان الأجدر بهم أن يشفقوا على أنفسهم ويشتغلوا بما يعود عليهم وعلى غيرهم بالنفع ، ولم تر أحد من الشبطين قديماً أو حديثاً أتى بأمر مهم ، فينبغي للجرائد الكبيرة ، أن تكثر من التنبيه على ضرر هذه العادة ، والتحذير منها ، ليخلص منها من لم تستحكم فيه ، وينتبه الناس لأربابها ليخلصوا من ضررهم . وكان الشيخ في حياته يشجع كل عامل ، ولا يثني أحداً عن غاية سالحة ، حتى لقد أخبرني أحد المقربين منه أنه قال له : إذا جارك من يريد تعلم النحو في ثلاثة أيام ، فلا تقل له إن هذا غير ممكن . فتقل عزيمته ، ونكسر همته ، ولكن أقره وحبب إليه النحو ، فعمله إذا أنس به واظب على قراءته

ويرسلون إليه الرسل ، ويكتبون إليه الكتب ، ويستعينون عليه بأصحابه وخلصائه ، ولكن الله أراد بالملعين خيراً ، فثبت الوالد فكان من هذا الولد المبارك ، ابن عابدين صاحب « الحاشية » ، أوسع كتاب في فروع الفقه الحنفي

بل لقد أرادوا أن يصرفوا أستاذنا العلامة محمد بك كرد على عن العلم ، فبشوا إليه بشقيقتين من آل . . . بشقيقتين قد ماتا فلتت اسميهما ، على رغم أنهما قطعا عن العلم أكثر من أربعين طالباً - فما زالا بآبيه - ولم يكن أبوه من أهل العلم - ينصحانه أن يقطع عن العلم ، ويملطه مهنة يتكسب منها ، فما في العلم نفع ، ولا منه فائدة . . . ويلحان عليه ويلازمانه ، حتى سخر فصرهما فكان من ولده هذا ، الأستاذ كرد على أبو النهضة الفكرية في الشام وقائدها ، ووزير مبارف سورية^(١) ومفخرتها ، والذي من مصنفاة : خطط الشام ، وغرائب التريب ، والقديم والحديث ، والمحاضرات ، وغابر الأمدلس وحاضرها ، والإدارة الاسلامية ، والاسلام والحضارة العربية . . . والمقتبس . . . ومن مصنفاة : « المجمع العلمي العربي بدمشق » ، ومن مصنفاة هؤلاء : « الشعراء والكتابات من الشباب » ا

ولعل في الناس كثيرين كانوا لولا الاحتكار والتشبيط كان عابدين أو ككرد على . وهما هو ذا العلامة للرحوم الشيخ سلم البخاري مات وماله مصنف رسالة لما فوقها ، على جلالة قدره ، وكثرة علمه ، وقوة قلبه ، وشدة يانه ؛ وبسبب ذلك أنه صنف لأول فهداه بالطلب رسالة صغيرة في المنطق ، كتبها بلغة سهلة عذبة ، تنق عن هذا العلم تعقيد الصبارة ، وصعوبة الفهم ، وعرضها على شيخه ، فسخر منه وأنبه ، وقال له :

أيها المبرور ا أبلغ من قدرك أن تصنف ، وأنت . . . وأنت . . . ثم أخذ الرسالة فصجرتها المدفأة . . . فكانت هي أول مصنفاة العلامة البخاري وآخرها ا

وقد وقع لي أني كنت في المدرسة وكنت أحاول أن أنظم الشعر ، فأخذ أبياتاً قديمة فأغير قوافيها ، وأبدل كلماتها ، وأدعياها لنفسى ، كما يفعل اليوم بعض الأدباء « التراجمة » حين يترجمون الكلمة الانكليزية أو الفرنسية حتى إذا بلغوا التوقيع ترجموه

يعدُّ . . . فكانوا يعظمون العربي ، لأنه من أمة الرسول الأعظم الذي اهتموا به ، وصاروا به وبقومه ناسًا . . .

وانصلت أسباب الشيخ بأسباب طائفة منهم فكانوا يجلسون إليه يحدِّثونه ، فقال له يوماً رجل منهم :

- إن السلطان سأل دار المشيخة عن قضية حيرت علماءها ولم يجدوا لها جواباً ، والسلطان يستعصمهم وهم حائرون ، فهل لك في أن تراها لعل الله يفتح عليك بالجواب ؟

قال : نعم

قال : سر مني إلى المشيخة

قال : باسم الله

ودخلوا على فاموس الشيخة (سكرتيرها) ، فسأله الشيخ اسماعيل عن المسألة فرفع رأسه قلب بصره فيه باذراء ، ولم تكن هيئة الشيخ بالتي ترضى ، ثم ألقاها إليه وانصرف إلى عمله ، فأخرج الشيخ نظارته فوضعها على عينه فقرأ المسألة ثم أخرج من منطقتة هذه الدواة النحاسية الطويلة التي كان يستعملها العلماء وطلبة العلم للكتابة وللدقاع عن النفس ، فاستخرج منها قصبه فبراها ، وأخذ القصب فقطعها ، وجلس يكتب الجواب بخط نسخي جميل حتى سوره عشر صفحات ما رجع في كلمة منها إلى كتاب ، ودفعها إلى الفاموس ، ودفع إليه عنوان منزله وذهب . فلما حملها الفاموس إلى شيخ الاسلام وقرأها ، كاد يقضى دهشة وسروراً

- وقال له : ويحك ! من كتب هذا الجواب ؟

- قال : شيخ شامي من صفته كيت وكيت . . .

- قال : على به

فدعوه وجعلوا يطلونه كيف يدلم على شيخ الاسلام ، وأن عليه أن يشير بالتحية واضماً يده على صدره ، متحنياً ، ثم عشى متباطئاً حتى يقوم بين يديه . . . إلى غير ذلك من هذه الأعمال الطويلة التي نسيها الشيخ ، ولم يحفظ منها شيئاً

ودخل على شيخ الاسلام ، فقال له :

- السلام عليكم ورحمة الله ، وذهب مجلس في أقرب المجالس

إليه . وعجب الحاضرون من عمله ولكن شيخ الاسلام سرَّ بهذه التحية الاسلامية وأقبل عليه يسأله حتى قال له :

- سئني حاجتك

ثم إن التشجيع يفتح الطريق للمبقيات المحبوبة حتى تظهر وتثمر ثمرها ، وتؤتي أكلها ؛ ورب ولد من أولاد الصناعات أو التجار يكون إذا شجع وأخذ بيده عالماً من أكابر العلماء ، أو أديباً من أعظم الأدباء ، وفي علماء القرن الماضي في الشام من ارتقى بالجد والدأب والتشجيع من منوال الحياكة ، إلى منصب الافتاء ، وكرسي التدريس تحت القبة .

نشأ الشيخ محمد اسماعيل الحائك عامياً ، ولكنه يحب العلم ، يحب العلماء ، فكان يحضر مجالسهم ، ويجلس في حلقتهم للتبرك والسماع ، وكان يواظب على الدرس لا يفوته الجلوس في الصف الأول ، فجعل الشيخ يؤنسه ويلطف به ، لما يرى من دوامه وتبكيه ، ويسأل عنه إذا غاب ، فشد ذلك من عزيمه ، فاشترى الكتب يجي إليه في مطالعة الدرس ، ويستعين على ذلك بالناسيين من الطلبة ، واستمر على ذلك دهرًا حتى أتقن علوم الآلة ، وصار واحداً زمانه في الفقه والأصول ، وهو طاكف على مهنته لم يتركها ؛ وصار الناس يأتونه في عمله يسألونه عن مشكلات المسائل ، وعويصات الواقع ، فيجيبهم بما يعجز عنه هؤلاء العلماء . وانقطع الناس عن المتقى من آل المهدي فساء ذلك للماديين والمهم ، فتربصوا بالشيخ وأضرروا له الشر ، ولكنهم لم يجدوا إليه شيئاً ، فقد كان يحيا من عمله ، ويحيا الناس به له ، وكان يمر كل يوم بدار الماديين في « القميرية » وهو على أنان له يضاء ، فيسلم فيردون عليه السلام ، فرب يوماً كما كان يمر ، فوجد على الباب أحداً للمفتي ، فردَّ عليه السلام ، وقال له ساخرًا :

- إلى أين يا شيخ ! أذهب أنت إلى (اسطنبول) لتأني

بولاية الافتاء ؟ وضحك وتحكك من حوله ، أما الشيخ فلم يزد على أن قال :

- إن شاء الله !

وسار في طريقه حتى إذا ابتعد عنهم دار في الأزقة حتى عاد إلى دأبه ، فودع أهله ، وأعطاهم نفقتهم ، وسافر !

وما زال يفارق بلدًا ، ويستقبل بلدًا ، حتى دخل القسطنطينية فنزل في خان قريب من دار المشيخة ، وكان يجلس على الباب يطالع في كتاب ، أو يكتب في صحيفة ، فيعرف الناس من زيه أنه عربي فيحترمونه ويحبلونه ، ولم يكن الترك قد جنوا الجنة الكبرى

وزارة المعارف العمومية

إعلان

تعلم وزارة المعارف أنها ستوفد هذا العام سنة ١٩٣٥ بعثة علمية من أربعة أعضاء للتخصص في اللغة الإنجليزية لمدة سنتين بالبحر وذلك لاعدادهم لتدريس اللغة الإنجليزية بالمدارس الثانوية

ويشترط للتشجيع للبعثة المذكورة :

- ١ - أن يكون المرشح حاصلًا على دبلوم المعلمين العليا الأدبية أو معهد التربية العالي
- ٢ - أن يكون ممن مارسوا التدريس بمدارس الوزارة
- ٣ - أن يكون حاصلًا على ٦٥ ٪ على الأقل من مجموع درجات امتحان الدبلوم

٤ - أن يجتاز بنجاح امتحان المسابقة التحريرية التي سيعقد بمدرسة التجارة العليا في الساعة الثامنة من صباح يوم الاثنين ٥ أغسطس سنة ١٩٣٥ فيما يأتي :

- الانشاء الإنجليزي - مبنى اللغة ومصطلحاتها - الترجمة الى اللغة الإنجليزية - وأن يحصل فيه على ٧٠ ٪ على الأقل من النهاية العظمى للدرجات وعلى ٦٠ ٪ على الأقل في كل فرع على حدة
- ٥ - أن يجتاز اختباراً شفويًا في المطالعة والحادثة الإنجليزية يتبين منه حسن استعداده لمهمة تدريس هذه المادة وأن يحصل فيه على ٧٠ ٪ على الأقل من النهاية العظمى لمجموع الدرجات

وسيراعى في الاختيار نتيجة الامتحان التحريري والاختبار الشفوي وتقارير حضرات النظار والمفتشين ، فملى من يرغب في التقدم للالتحاق بهذه البعثة أن يقدم طلباً على الاستمارة المدموعة المعدة لذلك . ويمكن الحصول عليها من مخازن وزارة المعارف بدمرب الجمايز بالقاهرة نظير دفع مبلغ ثلاثين ملياً . وترسل بعد ملئها مسجلة بطريق البريد إلى حضرة صاحب المعالي رئيس لجنة البعثات بوزارة المعارف على الأيتأخر ورود الطلبات عن يوم ٢٠ يولييه سنة ١٩٣٥

- قال : إفتاء الشام وتدريس القبة

- قال : هالك . فاعد على غدا !

فلما كان من الغد ذهب اليه فأعطاء فرمان التولية وكيساً فيه ألف دينار وعاد الشيخ إلى دمشق فركب اتاناه ودار حتى من بدار العباديين فاذا صاحبنا على الباب ، فسخر منه كما سخر وقال :

- من أين باشيخ ؟

- فقال الشيخ : من هنا ، من اسطنبول . أتيت بتولية

الافتاء كما أمرتني

ثم ذهب إلى القصر فقابل الوالي بالفرمان ، فركع له وسجد وسلم الشيخ عمله في حفلة حافلة

ومن هذا الباب قصة الشيخ علي كزبر ، وقد كان خياطاً في سوق المسكية على باب الجامع الأموي ، فكان إذا فرغ من عمله ذهب يجلس في الحلقة التي تحت القبة فاستمع إلى الشيخ حتى يقوم فيلحق به فيخدمه ، وكان الشيخ يعطف عليه لما يرى من خدمته إياه ، فيشججه ويحثه على القراءة فقرأ ودأب على المطالعة ، حتى صار يقرأ بين يدي الشيخ في الحلقة ، ولبث على ذلك أمداً وهو لا يفارق دكانه ولا يدع عمله ، حتى صار مقدماً في كافة العلوم

فلما مات الشيخ حضر في الحلقة الوالي والأعيان والكبراء ليحضروا أول درس للمدرس الجديد ، فافتقدوا الميديلهم بمجدوه . ففتشوا عليه فاذا هو في دكانه يخط ، فجاءوا به ، فقرأ الدرس وشرحه شرحاً أعجب به الحاضرون وطربوا له . فمئ مدرساً ولبث خمسة عشر عاماً يدرس تحت قبة النسر ، وبقيت الخطبة في احفاده إلى اليوم^(١)

على أن للتشجيع عيماً واحداً هو النور ، فأنا أعوذ بالله أن أغتر فأصدق أني أهل لكل ما تفضل به علي الأستاذ من النعمت ، وأرجو أن أوفق إلى الجدد والتقدم بتشجيع الأستاذ وفضله ، وأشكر للأستاذ الزيات باسمي واسم إخواني هنا ، أياديه علينا وعلى الأدب العربي ، الذي سميت وتسمو به « الرسالة » !

هلي الطنطاري

(١) ومدرس القبة الرسمي اليوم شاب أوربي الزى ، أوربي اللسان ، أوربي الزوجة . لا يدخل المسجد مرة في العام ، ولكنه مدرس القبة !